Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تتحدث عنها، ولاسيّما أنّها تتحدّث عن شريحة واسعة من الناس، لم تُحصّل معارف أو علوماً تؤهّلها للتحدُّث بلغةٍ أعلى أو أفْصح أو أكثر تأنُّقاً وشاعريّة.. ولكن هذا الأمر يبدو أمراً شكلياً في مفهوم الأدب الذي يرمي (حنّا مينه) إلى تعميق أسسه وترسيخ طقوسه.. فالمسألة مسألة رؤية ومعالجة وسياق، وليست مسألة مفردةٍ من اللغة هنا أو مفردة هناك... على أنّ هذا لايمنع من القول: إنّنا مع (الولاّعة) في موقف من التعامل مع اللغة الروائيّة، يختلف عنه في بعض مواقف الروائيّ الأخرى، في آثاره المتعدّدة، وخاصّة في روايته (الربيع والخريف) التي لم تزلْ الذاكرة تحتفظ بطعمٍ خاصّ للمقاطع النثريّة المُحلّقة التي جاء بها الكاتب هناك، تلك المقاطع التي سما بها (مينه) إلى منزلة اللغة الشعريّة التي تهبط من عالم الخيال مَحدوّة بالمجاز والصورة والإيقاع والإثارة والإقناع، فتهزُّ القارئ هزّاً.

والظاهرة الثانية التي تتكرّر أيضاً في كثير من آثار هذا الكاتب، كما تكرّرت هنا، هي استغلال الكاتب لثقافته المسيحيّة. والحقّ أنّ (مينه) نفسه يقرُّ بأنّه درس الكتب المقدّسة بعمق، ولكنّه فهمها بحسب مزاجه الخاصّ، وفسّرها وفق رؤيته الشخصيّة للحياة، ثمّ راح يستثمر مايرد فيها من أقوال مأثورة وحكم وآيات، مستشهداً بها بين الفينة والأخرى. ونحن واجدون في (الولاّعة) الكثير من أقوال الإنجيل، من أمثال قول الأستاذ (صبحي) لـ (فرح): "أنت يافرّوح بسيط القلب، لذلك ستدخل الجنّة، ألمْ يقل السيّد المسيح: طوبى لبُسطاء القلوب" (ص٢٩). وكذلك نقرأ في الرواية قول (بولس الرسول): "إنّي أنقض الناموس" – (ص٨). ويستفيد الكاتب من عبارة المزامير ليصف (أمّ فرح) بقوله: "أمّ فرح أطهر من الزوفا وأبيض من الثلج" (ص١٥٠). ثمّ يؤلف ماجاء في سفر الجامعة من حكم فيكتب "باطل الأباطيل، الكلّ باطل، الكلّ قبض الريح" (ص١٥٦). ويمكن للدارس، من زاوية أخرى، أن يعثر على صلة بين طفولة بطل الرواية (فرح)، وطفولة الكاتب (حنّا مينه)، فكلاهما كان تلميذا مسيحيّا من تلاميذ المدرسة الأرثوذكسيّة... ولاجرم أن نجد ما وجدناه من ملامح مسيحيّة في كتابات (مينه) جميعها، لأنّ أمّه كانت تعدّه، وهو صغير، ليصبح كاهنا. ولكن الأمّ شاءت شيئا، وشاءت الأقدار شيئا آخر....

ويبقى عندي انطباع، لا أجدني مخلصاً إن لم أفصح عنه، وقد قرأت ستّ روايات من روايات (حنّا مينة)، هي: (بقايا صُور) و "الياطر) و(الثلج يأتي من النافذة) و (الربيع والخريف) و (المرصد) وهذه (الولاّعة). وفحوى ذاك الانطباع